مقال مراجعة موضوع

التجديد الحضري: أسلوب للحفاظ على الموروث العمراني

م.د. نهى نعمة محمد البوعربي
كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة كربلاء

الكلمات المفتاحية: التجديد الحضري ، الموروث العمراني ، سياسات التجديد الحضري

الملخص:

ينطلق هذا المقال في معالجة المشاكل التخطيطية لمراكز المدن القديمة من فرضية مبدأ التجديد الحضري الذي يقوم على التأثير المتبادل بين أجزاء المدينة والعلاقة التكاملية بينها والحفاظ على مبانيها التاريخية، كما يحاول التعرف على مفهوم التجديد الحضري وأهدافه وسياساته كون هذا الموضوع ذا أهمية في دراسة وضع المدن من حيث الاستغلال الأفضل للإمكانات المتوفرة فيها وإعادة توقيع استعمالات الأرض والنشاطات الحضرية الناتجة من التغيرات التي طرأت على وظائفها والحفاظ على موروثها العمراني ، فضلا عن أهم المشاريع التخطيطية للتوصل إلى نتائج عامة وخاصة للحفاظ على الموروث العمراني للمراكز المدن القديمة .

المقدمة :-

يعد مصطلح التجديد الحضري (Urban Renewal) حديث العهد خاصة بالنسبة للبلدان النامية ، وفي السنوات الأخيرة ازداد الاهتمام بهذا الموضوع ولا سيما في مجال الحفاظ على الموروث العمراني التراثي للمدن القديمة ، نظرا لتعرض هذه الموروثات للإهمال وعلى فترات طويلة وتدمير قسم منها فهي بالتالي خسارة قد لا تعوض. فقد كان للنمو العمراني الواسع مخاطر كبيرة على الموروث الحضاري في مراكز المدن القديمة نتيجة النمو السكاني الكبير والطلب المتزايد على السكن، مما أدى إلى إزالة بعض الأبنية الأثرية أو التراثية القديم واستغلالها بطريقة تشوه فنها المعماري ، كما أدت هجرة بعض السكان الأصليين لتلك الأبنية وتركها من غير سكن إلى تعرضها للانهيار لعدم الاهتمام بها والحفاظ عليها. لذلك ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة التجديد الحضري التي تعتمد على دراسات عمرانية واقتصادية واجتماعية لتلك الأبنية والمناطق المحيطة بها، لتحديد الأضرار والمعالجات المناسبة بما يحقق الفائدة منها، ويبرز أهميتها التراثية وما تتميز به من خصائص معمارية وفنية عن غيرها من الأبنية ، ومن هنا جاء هدف المقال .

مناقشة الفكرة وبلورتها :

أكدت العديد من الدراسات والبحوث على أهمية التجديد الحضري إذ تصدر مفهوم التجديد الحضري ضمن استراتيجيات العديد من الدول (المتقدمة و النامية) ،ويعد مصطلح حديث نسبياً، نشأ وتطور خلال حِقْبَة الثلاثينيات وهو من المفاهيم التخطيطية وأحد العلوم الأساسية التي تدخل ضمن سياسة التخطيط الحضري للمدن القديمة ، وفي عام 1969 بدأ

الاتجاه إلى هذا المفهوم في بريطانيا ، كما انه بدا في الولايات المتحدة الأمريكية بجهود المؤسسات الخاصة منذ القرن التاسع عشر كبرنامج لإزالة المباني المهجورة والمتداعية .

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم التجديد الحضري فقد عرف العديد من علماء الآثار والاقتصاد والجغرافية التجديد الحضري للموروث بصور مختلفة تعكس اتجاهاتهم وأفكارهم. فالتجديد الحضري مصطلح أمريكي عرف من قبل وينر Weiner وهويت Hoyt (1966) كبرامج للبناء صمم لغرض (1- إعادة التأهيل Rehabilitate ، 2- الحفاظ Conserve 3- تهديم وأزاحه الابنية Demolish and Clear) . أما الموسوعة البريطانية فقد استعملت مفهوم التجديد الحضري للجمع بين عمليات الحفاظ الحضري إعادة التأهيل وإعادة التطوير(الهدم إعادة البناء) لإزالة التهرؤ الحضري او معالجته والإهمال الآيل إلى الاندثار وتعويضها باستعمالات جديدة او محسنة.

بناءً على ما ذكر يمكن ان نرى إن التجديد الحضري مفهوم شامل لا يقتصر على العناية بالأبنية القديمة أو تحويلها إلى متاحف وإنما لابد من التركيز على النسيج العمراني للمدينة والعلاقات المنسجمة بين التركيب القديم والحديث .أي انه يقوم على فكرة إعادة تأهيل المدن القديمة بثلاث اتجاهات (العمرانية والاقتصادية والاجتماعية) ، أي تأهيلها عمرانياً بواسطة صيانة واصطلاح مبانيها وإزالة التعديات التي تتم على واجهتها والحفاظ على طرازها العمراني التاريخي القديم لجذب السكان والزائرين اليها . ويقصد بتأهيل المدينة اقتصاديا من خلال استغلال الفراغات بشكل يحقق فائدة للمدينة وإنعاشها. بينما يقصد بالتأهيل الاجتماعي عن طريق الحفاظ على سكانها ورفع مستوياتهم الاجتماعية وإحياء مساكنهم .ولفهم الفكرة بوضوح لابد من طرح المحاور الاتية :-

أهداف التجديد الحضري لمراكز المدن القديمة :

نظرا لما تعانيه مراكز المدن القديمة العربية منها ومدننا العراقية بشكل خاص من مشكلات عدّة نتيجة للتغيرات التي شهدتها هذه المدن وتزايد العشوائيات وتهدم العديد من مبانيها التراثية القديمة، لذا فان التجديد الحضري يهدف إلى الحفاظ على هذه المباني ، إذ يعمل على تحسين نوعية المخزون السكني؛ وزيادة الكثافة وتجديد المساكن؛ يضاف لذلك فوائد اقتصادية تختلف الأهداف والدوافع التفصيلية للتجديد الحضري من منطقة لأخرى نتيجة لتنوع الظروف وتباين الخبرات التخطيطية فمعظم السلطات تؤكد على انه من المفيد الأخذ بنظر الاعتبار الدوافع التالية التي ينبغي استيعابها :-

الأهداف الوظيفية : بواسطة توقيع استعمالات الأرض وكافة الفعاليات الحضرية وامكانيات تقليلها او تعيين مواقع جديدة ملائمة لها خارج المدينة القديمة (كالاستعمال الصناعي مثلا).

أهداف الصيانة والحفاظ : يتمثل هذا الهدف بالحفاظ على المباني التراثية المتداعية من خلال صيانتها وإعادة تأهيلها بشكل يحافظ على شخصية المدينة المميزة ،.

أهداف التخطيطية (الخطة) : يقصد هنا توزيع استعمالات الأرض بشكل مناسب في مراكز المدن، بالاعتماد على بنية المدينة المعمارية وشبكة كفؤة من الشوارع .

سياسات التجديد الحضري : Urban Renewal polices

انطلاقاً من مراجعة الدراسات المتعلقة بموضوع المقال تبين ان هنالك ثلاث سياسات أساسية لتجديد المناطق الحضرية المركزية ،وتبعاً لذلك ولخصوصية مراكز المدن القديمة والتراثية فإننا نرى إن استراتيجية (التجديد الحضري) هي الاستراتيجية الأنسب لتنمية وتطوير التركيب الداخلي ، فضلاً عن الاستراتيجيات والأساليب الأخرى التي تنطوي تحت مصطلح التجديد الحضري ،ومن اهم هذه السياسات هي :-

1- اتباع سياسة الحفاظ : Conservation

ظهرت فكرة الحفاظ على الموروث العمراني مطلع الستينيات من القرن الماضي ، إذ اتخذت اتجاها فكريا عالميا ، ويقصد بسياسة الحفاظ هنا : حماية الأبنية التراثية والتاريخية من الأضرار التي تلحق بها نتيجة للظروف الطبيعية او البشرية ، أي انها عملية ايقاف اي عمل غير تخطيطي ، تهديمي ، او عمراني بدون ان تكون المؤسسات ذات العلاقة على علم مسبق بها (كالمؤسسة العامة للسياحة).وهنالك عدد طرق للحفاظ على المباني القديمة وتتمثل بـ:-(الترميم – الحماية – إعادة البناء – الصيانة) .

يمكن اعتماد هذا الأسلوب في مدننا العراقية القديمة للحفاظ على المساجد والمراقد المطهرة والمناطق الأثرية والتاريخية القديمة والخانات والحمامات والأسواق التراثية ، وصيانتها وترميمها وتطويرها كمناطق سياحية تجذب الزوار والسياح للمدينة .أي اعتبار المدينة القديمة منطقة حفاظ ومعاملتها معاملة خاصة .

2- اتباع سياسة إعادة التأهيل Rehabilitation

يمكن اعتماد هذه السياسة في المناطق ذات الابنية المتهرئة جزئيا ، إذ تعد من السياسات المهمة التي يمكن اعتمادها في التجديد الحضري من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، ويقصد بإعادة التأهيل بأنه مجموعة من الإجراءات الإصلاحية لمعالجة المناطق القديمة بداية تهرؤها ومحتفظة بجزء من هيكلها العمراني القابلة للإصلاح ، بشكل يهيئها لتلائم المعايير والمتطلبات الحديثة البيئية والاجتماعية والاقتصادية.

يتم اعتماد هذا الأسلوب في المدن القديمة لإعادة تأهيل بعض الوحدات السكنية والمباني الأثرية المتدهورة إذ تهتم بالمبنى من حيث ترميمه وتجديده وحمايته صيانته وإعادة استعماله .

3- إعادة التطوير Redevelopment

يقصد بها إزالة المباني بصورة تامة او إزالة جزء كبير منها باستثناء الأبنية ذات القيمة التاريخية. لكن يرافق هذا الأسلوب مشكلات عدّة : زيادة العجز السكني ، تمزيق الروابط الاجتماعية فضلا عن المشاكل التي تؤدي الى الفصل الحاد في سلسلة التطور التاريخي وبشكل تدريجي . وهناك سياسات وأساليب أخرى وهي :

أ- **الإملاء الحضري Urban infill:**

هي عملية إملاء الفجوات الموجودة في المباني التي تمتلك ارتباطات تاريخية بشكل يتناغم مع النسيج الحضري كالارتفاع وخط السماء وحجم الكتلة العمرانية ومواد البناء.

ب- **التو افق بين الحفاظ والتطوير:**

يتعامل هذا الأسلوب مع مناطق التلف الحضري من خلال اجراء حالة توافق بين الحفاظ والتطوير ويتمثل ذلك بمشاريع (التطوير والحفاظ) التي تشمل إضافة أجزاء جديدة بديلة عن الأجزاء المتهرئة ، والحفاظ على الأجزاء الاخرى .

يعد هذا الاتجاه الأكثر رواجا في الدول العربية الاسلامية إذ تبنت العديد من الدول هذا التوجه في تطوير مراكزها التاريخية ومنها جدة والقاهرة و(الكاظمية والاعظمية ومركزي الكرخ والرصافة) في مدينة بغداد . فضلا عن ان هنالك العديد من الدول التي اعتمدت مفهوم التجديد الحضري في الحفاظ على تراثها العمراني .

ختاما ، أدى التطور والتجديد الذي طرأ على المدن التقليدية القديمة إلى حدوث تغيرات كبيرة في شكل النسيج الحضري لهذه المناطق وتغير في خصائصه وتمزيقه ، محاولة لحل احتياجات الحياة المعاصرة وتغيراتها من(عدد سكان وتطور وسائط النقل وحاجة الى شق الشوارع التي تلائم هذا التطور)،ومن جهة أخرى اهمل هذا التطور تحسين وتجديد المساكن القديمة التي تهدم جزء منها وتهرأ الجزء الآخر نتيجة الإهمال وقلة أعمال الصيانة والبناء العشوائي لسد حاجة السكان ، كل هذا أدى إلى تشويه في النسيج الحضري واستعمالات الأرض فيها .

لذا كان لابد من التفكير في هذه المدن ونسيجها العمراني كونها تمثل الموروث الحضاري لها والتي تعبر عن حقبة زمنية أو دورا من أدوار المدينة التاريخية، لأنها تضم الكثير من عناصر التراث المعماري والتخطيطي العريق الذي يظهر الوجه الأصيل للحياة والمجتمع الإسلاميين ومراحل تطورهما عبر العصور. وفي ضوء هذه المفاهيم فقد بات من الضروري الحفاظ على الموروث الحضاري للمدن القائمة وخصوصا المنطقة التاريخية منها، وتكمن فائدة وجود الموروث الحضاري(التراث) في كونه يطور تعابير ومدلولات رمزية تساعد الإنسان على فهم الأشكال بموضوعية حقيقية منطقية، تكون النَّظْرَة نحو المستقبل تستند إلى أصالة الماضي، وان عملية ادراك التراث وفهمه معنويا يتم عن طريق الرموز والمعاني الحسية والفكرية التي تنمو في الخضارة الواحدة بمفهومها الكلي، ومن المهم ان نملك في أذهاننا كل الحقائق التاريخية إذا ما أردنا ان نقترب من كل المشاكل التي تواجه عملية الحفاظ في المجتمعات الإسلامية المعاصرة مع الحالة الخاصة لكل مجتمع وهو ليس عملا سهلا، لأن الكثير من الأجزاء الثمينة من الموروث الحضاري العظيم في العالم الإسلامي أصابه التلف والفقدان والجزء الكبير من موروثنا المعماري دمر خاصة خلال الأربعين سنة الماضية تحت ضغط الاقتصاد المعاصر والتكنلوجيا الحديثة. وفي هذا الموضوع يجب ايجاد حالة من التوازن بين(التراث والمعاصرة) و (الحفاظ والتجديد) بواسطة تطوير هذه المدن وتفعيلها لتؤمن حاجات المجتمع والتطور الحاصل مع احتفاظها بأصالتها لضمان استمراريتها وديمومتها.

المصادر:

1- Encyclopedia Britannica ,1987 .P169.
2- Worskett, Roy (the character of towns-an approach to conservation) Architectural press, London,second edition ,1970.p
1- البغدادي ،عبد الصاحب ناجي البغدادي ،حسن ،عبد الجواد حسن (2001).التجديد الحضري للمناطق التراثية والحفاظ عليها.مجلة البحوث الجغرافية. العدد2 .الصفحة 281.
2- توسلاف مارا سونيينج(1985) ، المدن التاريخية سبل الحفاظ عليها واحيائها ، ترجمة عرفان سعيد ، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية ، بغداد .
3- الخالدي ،قاسم مطر عبد .(2017). اساليب التجديد الحضري للتراث العمراني (دراسة حالة الموروثات العمرانية في مدينة الزبير).مجلة الاطروحة للعلوم الإنسانية . س2- ع 5، دار الاطروحة للنشر. اذار . الصفحة 120.
4- الدليمي ، صفاء جاسم محمد(1985) .متطلبات تخطيط المنطقة المركزية ضمن التصميم الاساس لمدينة الديوانية وامكانية تطويرها . رسالة ماجستير (غير منشورة) المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي- جامعة بغداد .
5- زناتي ،جلول .(2012). تقنيات التجديد الحضري للتراث العمراني (حالة وادي مزاب) . مجلة المخطط والتنمية العدد (26) .الصفحة 16 .
6- العاني ، محمد جاسم محمد.(2004). دراسات تطبيقية لبعض جوانب التخطيط الحضري والاقليمي ، الدراسة الثالثة (دور المخططات العامة لمدينة بنغازي في استيعاب الموروث العمراني. دراسة مقدمة الى ندوة المحافظة على المدن القديمة .المنعقد في الفترة من 8-12/9/. بنغازي.
7- العساسفة ، سلامة طابع؛ جبور، سعد الله .(2007).التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن : حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية. المجلد 23. العدد2.الصفحات 244 - 246.
8- محمد سيد سلطان ، قضايا تمويل التراث العمراني : الاطار الاستراتيجي لتعزيز حفظ التراث وحمايته ، دراسات من التراث العمراني ، ابحاث وتراث ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث ، الهيئة العامة للسياحة والاثار ، الرياض ، 2013 .

Review Article

Urban Renewal: A Method for Preserving Urban Heritage

Dr.Nuha Nima Muhammad Al- Buarbi

College of Education for Human Sciences

University of Karbala

Nuha.n@uokerbala.edu.iq

Keyword: Urban Renewal, Urban Heritage, Urban Renewal Policies

Summary:

This article addresses the planning problems of old city centers based on the premise of urban renewal, which emphasizes the reciprocal influence between different parts of the city and their integrative relationship, as well as the preservation of its historical buildings. It also aims to explore the concept of urban renewal, its goals, and its policies, as this topic is important for studying the condition of cities in terms of optimal utilization of available resources. Furthermore, it focuses on the reallocation of land use and urban activities resulting from the changes in the functions of these cities, while preserving their urban heritage. The article also highlights significant planning projects to derive general and specific conclusions for preserving the urban heritage of old city centers.